ويحذركم الله نفسه

عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني

مصدر هذه المادة:

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العـالمين. وعد من أطاعه وخافه بـالأجر العظيم والثـواب الجزيـل، واصلي وأسـلم على إمـام الخـائفين، وقائد المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

ففي القرآن العظيم لمن اتعظ به، وتدبر آياته لفتـات عجيبـة، ولمسـات إيمانية عظيمـة، توقظ القلب المسـتنير وتنبه الضـمير الحي، وتشـحذ الهمم، وتأخذ بمجامع العبد المنيب، فيبصر بـذلك الطريق المستقيم، ويـذل وينكسر لله تعـالى الـذي أرشده بعدما كاد يتخبط في بيداء الضـلالة، ودركات الشقاء.

وقوله سبحانه: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَـهُ**﴾ من أعظم اللفتـات القرآنية الـتي تسـتدعي الوقوف عندها، وتسليط الأضواء عليها.

جاءت هذه الجملة القرآنية في موضعين من القـرآن الكـريم: **الأول**: ﴿**لَا يَتَّخِـذِ الْمُؤْمِنُـونَ الْكَـافِرِينَ أَوْلِيَـاءَ مِنْ دُونِ**

الْمُـؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَـلْ ذَلِـكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُـوا مِنْهُمْ تُقَـاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِـيرُ﴿[1].

ومناسبة مجيء هذا التحـذير الشـديد أن الله تعـــالى لما نهى عبـــادة عن مـــوالاة الكـافرين واتخـاذهم أوليـاء يسـرون إليهم بـالمودة دون المؤمـنين قـال: ﴿**وَيُحَـذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَـــهُ**﴾ يعـــني يحـــذركم نقمته في مخالفتـــــه، وســــطوته وعذابه لمن والى أعداءه، وعادى أولياءه [2].

الثاني: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْـرٍ مُحْضَـرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُـوءٍ تَــوَدُّ لَـوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَـــهُ أَمَـــدًا بَعِيـــدًا وَيُحَـــذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَـــــهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[3].

---

[1] (?) آل عمران (28). وقد أُظهر لفظ (الله) في مقام الإضـمار في قوله سـبحانه: ﴿**وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِـيرُ**﴾ لتربية المهابة وإدخـــال الروعـــة. «روح المعـــاني» للآلوسي (3/126).

[2] (?) تفسير ابن كثير (1/357).

[3] (?) آل عمران (30).

فــإن الله تعــالى هاهنا يــذكر العبد بما يحصل له يـــــوم القيامة حين يحضر للعبد جميع أعماله من خــير وشــر، فما رأى من أعماله حسـنًا سـره ذلك وأفرحـه، وما رأى من قبيح ساءه، وغصه، وود لو أنه تبرأ منـه، وأن يكــون بينهما أمد بعيــد، ومن هنا قــال سـبحانه مهـددًا متوعـدًا: ﴿**وَيُحَـذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾ يعني يحـذركم عقابـه، فاستعدوا لما أمــامكم من الأهــوال العظــام بالأعمــال الصالحات، وترك المحرمات والمنكرات.

وهكذا «لما سمع المتعظون هذا التحذير فتحوا أبواب القلوب لنزول الخوف فـأحزن الأبـــدان، وقلقل الأرواح، فعاشت اليقظة بمــوت الهــوى، وارتفعت الغفلة بحلــول الهيبـــة، وانهـــزم الكسل بجيش الحـــذر، فتهذبت الجـوارح من الزلـل، والعـزائم من الخلـــل، فلا ســكون للخــائف، ولا قـــرار للعــارف، كلما ذكر العــارف تقصـيره نــدم على مصـابه، وإذا تصـور مصـيره حـذر مما في كتابه، وإذا خطر العتاب بفنائه فــالموت من عتابـــــه، فهو رهين القلق بمجمــــوع أسبابه»[1].

---

1 (?) «التبصرة» لابن الجوزي (1/82).

متى يدرك المسلم هذا التحذير

لا يدرك المسلم هذا التحذير جيـدًا إلا إذا كان عنده علم، فإن الإنسـان إذا تم له علم لم ير لنفسه عملاً، وإنما يرى إنعام الموفق لـذلك العمـل، الـذي يمنع العاقل أن يـرى لنفسه عملاً، أو يعجب به، وذلك بأشياء:

1- أنه وُفق لـــــذلك العمل ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[1].

2- أنه إذا قيس بـالنعم لم يـفِ بمعشـار عشرها.

3- أنه لو لـــوحظت عظمة المخـــدوم احتقر كل عمل وتعبُد.

هـــذا إذا ســـلم من شـــائبة، وخلص من غفلــة، فأما والغفلات تحيط بــه، فينبغي أن يغلب الحـذر من رده، ويخـاف العتـاب على التقصير فيه، فيشتغل عن النظر إليه.

وتأمل على الفطنـاء أحـوالهم في ذلـك، فالملائكة الـذين يسـبحون الليل والنهـار لا يفترون قالوا: ما عبدناك حق عبادتك.

والخليل عليه الصــلاة والســلام يقــول: ﴿وَالَّذِي أَطْمَــعُ أَنْ يَغْفِـرَ لِي خَطِــيئَتِي

1 (?) الحجرات (37).

يَوْمَ الدِّينِ[1] وما منَّ وافتخر بتصبره على النار، وتسليم الولد إلى الذبح.

ورسـول الله ﷺ يقـول: «**ما منكم من ينجيه عمله**» قـالوا: ولا أنت؟ قـال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته**»[2][3].

ثمرات إدراك هذا التحذير

*من ثمراته أن أحـــدث في القلب خوفًا من الله تعالى فقمع به الشـهوات، وكفر به اللـذات، وتـأدبت جوارحــه، وفارقه الحسد والكـــبر والحقـــد، ولم يكن له شـــغل إلا المراقبة والمحاســبة والمجاهـــدة والضن بالأنفاس واللحظات.

*ومن ثمراته أنه أوى به هذا التحذير إلى الحذر من المعصية والتمـادي فيهـا والإصرار عليها، لسان حاله:

كم ذا أغالط أمري كأنني لستُ أدري
أغفلت ذا الذي في مقدم عمري
ولم أزل أتمادى حتى تصرم دهري
مالي إذا صرت بالذنب في رمس

---

1 (?) الشعراء (82).
2 (?) أخرجه أحمد في المسـند، والبخـاري ومسـلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة ﷺ.
3 (?) «صيد الخاطر» لابن الجوزي ص487.

فِليت شعري متى [1]

إن ذلك الخوف، وتلك الخشية اللذين أحدثهما في القلب إدراك ذلك التحذير هو ما وصف الله تعالى به عباده المتقين في القرآن، وهو ذاته حال النبي الكريم وأصحابه البررة ومن تبعهم بإحسان.

قال سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[2].

فخص بهذا الإنذار من هذه صفاتهم، من تستشعر قلوبهم خوف ذلك اليوم الذي ليس فيه من دون الله ولي ولا شفيع، فهم أحق بالإِنذار، وأسمع له، وأكثر انتفاعًا به لعلهم أن يتوقوا في حياتهم الدنيا ما يعرضهم لعذاب الله في الآخرة، فالإِنذار بيان كاشف، كما أنه مؤشر موحٍ.. نعم بيان يكشف لهم ما يتقونه ويحذرونه، ومؤشر يدفع قلوبهم للتوقي والحذر، فلا يقعون فيما نهوا عنه بعدما تبين لهم.

وقرر سبحانه في سورة النور أن صفات

---

1 (?) التبصرة (1/83).

2 (?) الأنعام (51).

عباده المؤمنين خوفهم من يوم القيامة: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

ولما ذكر الله تعالى عباده المؤمنين في سورة الإنسان ذكر أن من صفاتهم أنهم يطعمون الطعام، وينفقون المال خشية وخوفًا من يوم القيامة وأهواله العظام الجسام:

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[2].

فما كان من نتيجة هذا الخوف والاستعداد الإيماني إلا أن يجازوا أعظم

---

1 (?) النور (36-38).
2 (?) الإنسان (9-10).

الجزاء وأتمه:

﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[1].

وهكذا يعجل السياق بذكر وقايتهم من شر ذلك اليوم الذي كانوا يخافونه ليطمئنهم في الدنيا وهم يتلقون هذا القرآن ويصدقونه! ويذكر أنهم تلقوا من الله تعالى نضرة وسرورًا، لا يومًا عبوسًا قمطريرًا، جزاء وفاقًا على خشيتهم وخوفهم، وعلى نداوة قلوبهم، ونضرة مشاعرهم.

هذا فضلاً عما ينتظرهم في الآخرة من النعيم المقيم، هناك في جنات النعيم:

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى

1 (?) الإنسان (11).

سَلْسَــبِيلًا * وَيَطُــوفُ عَلَيْهِمْ وِلْــدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِــبْتَهُمْ لُؤْلُــؤًا مَنْثُـــــورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِـيرًا * عَـالِيَهُمْ ثِيَـابُ سُـنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّـةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَـذَا كَــانَ لَكُمْ جَــزَاءً وَكَــانَ سَــعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾[1].

ولقد تمثل عبـاد الله تعـالى من الملائكة المكـرمين، والأنبيـاء الصـالحين، والصحابة المقتدين، ومن تبعهم بإحسان، تمثلوا صفة الخـوف من ربهم تعـالى رغم الحـال الـتي كــانوا عليها من طاعة الله تعــالى وحسن عبادته.

يقــول ســبحانه عن ملائكته الــذين لا يعصــون الله ما أمـــرهم، ويفعلــون ما يؤمرون:

﴿لَا يَسْــبِقُونَهُ بِــالْقَوْلِ وَهُمْ بِــأَمْرِهِ يَعْمَلُــونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْــدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْــفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَــى

---

[1] (?) الإنسان (12-22).

وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[1].

والأنبيـــاء الكـــرام عليهم صـــلوات الله وسلامه يقــول عنهم ســبحانه: **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْـرَاتِ وَيَـدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾**[2].

ورسول الله ﷺ الذي غفر له ما تقـدم من ذنبه وما تأخر تقول عنه زوجه عائشة رضي الله عنهـــا: «ما رأيت رســـول الله ﷺ قط مسـتجمعًا ضـاحكًا حـتى أرى لهواته [3] إنما كان يبتسم. وكان إذا رأى غيمًا وريحًا عُرف ذلك في وجهـــه، فقلت: يا رســـول اللـــه، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجـاء أن يكـون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُـرفت الكراهة في وجهك، فقال: **يا عائشة، ما يؤمنني أن يكون فيه عـذاب؟ قد عُـذب قـوم بـــالريح. وقد رأى قـــوم العـــذاب فقالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾**[4]».

---

1 (?) الأنبياء (28).

2 (?) الأنبياء (90).

3 (?) اللهـاة: اللحمة المشـرفة على الحلـق، أو ما بين منقطع أصل اللســـــان إلى منقطع القلب من أعلى الفم.

4 (?) متفق عليه.

وعبد الله بن الشـــخير يقـــول: «أتيت النبي وهو يصلي، فسـمعت لصـدره أزيـزًا كأزيز المرجل[1] من البكاء [2]».

وعلى بن أبي طـــالب يصف لنا حـــال الصـــحابة الأبـــرار فيقـــول: «لقد رأيت أصـحاب النـبي فما رأيت شـيئًا يشـبههم، كانوا يصبحون شعثًا غبرًا صفرًا، بين أعينهم كأمثال ركب المعزى [3] قد بـاتوا لله سـجدًا وقيامًـا، يراوحـون بين جبـاههم وأقـدامهم، فإذا طلع الفجر ذكروا الله فمـادوا كما يميد الشـجر في يـوم الـريح، وهطلت أعينهم بالدموع، والله لكأن القوم باتوا غـافلين»[4] وما رئي بعد كلامه هـذا باكيًا حـتى لحق بربه.

سؤال:

إن قيل لم كـان خـوف رسـول الله شديدًا مع علمه بـأن الله تعـالى قد غفر له

---

1 (?) المرجل: القدر.

2 (?) رواه أحمد وأبو داود والنسـائي وابن حبـان والبيهقي.

3 (?) أي في جباهم النقط السود من خشـانة الجلد في حال سجودهم في ظلام الليل.

4 (?) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (1/76).

ما تقـــدم من ذنبه وما تـــأخر، وأنه أقـــرب الخلق إلى الله تعـــالى. قيـــل: قد أجـــاب الإمـــام ابن القيم على هـــذا التســـاؤل في كتابه «طريق الهجـــرتين»[1] بأربعة أجوبـــة، هـــذا ملخصـــها: 1- إن هـــذه الخـــوف على حسب القـــــرب من الله تعـــــالى والمنزلة عنـــده، وكلما كـــان العبد أقـــرب إلى الله تعالى كان خوفه منه أشـد، لأنه يطـالب بما لا يطـــالب به غـــيره، ويجب عليه من رعاية تلك المنزلة وحقوقها ما يجب على غـــــيره. ونظير هذا في المشاهد أن المائل بين يدي أحد الملوك المشـاهد له أشد خوفًا منه من البعيد عنه، بحسب قربه منه ومنزلته عنـده ومعرفته به وبحقوقه، ومن تصـور هـذا حق تصـــوره فهم قوله ﷺ: «**إني أعلمكم بالله وأشـــــدكم له خشـــــية**»[2] وفهم قوله ﷺ: «**إن الله تعالى لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعـذبهم وهو غـير ظـالم لهم، ولو رحمهم كـــــانت رحمته لهم**

---

1 (?) ص285 وما بعدها.

2 (?) أخرجه البخـاري ومســلم والــدارمي وأحمد في المسند.

خيرًا من أعمالهم»[3]، فهــذا دليل واضح على أن أعمـال العبـاد لا تـوازي القليل من نعمه سبحانه عليهم. فتبقى نعمه الكثيرة لا مقابل لها من شـــكرهم، فلو عـــذبهم على تـــرك شـــكرهم وأداء حقه الـــذي ينبغي له سبحانه عذبهم ولم يكن ظالمًا لهم.

فـــإذا قـــال قائـــل: إن العبـــاد إذا فعلـــوا مقـــدورهم من شـــكره وعبوديته لم يكن ما عـــداه مما ينبغي له ســـبحانه مقـــدورًا لهم، فكيف يحسن العذاب عليه؟

فالجواب على تلك يقال فيه:

- إن المقـــدور للعبد لا يـــأتي به كلـــه، بل لابد من فتور وإعراض وغفلة وتوانٍ.

- كما أن قيامه بالعبودية لا يوفيها حقها الـــواجب لها من كمـــال المراقبة والإجلال والتعظيم.. فالتقصـير لازم في حـال الـترك وفي حـــال الفعـــل، ولهـــذا ســـأل أبو بكر رسول الله دعاءً يدعو به في صلاته فقال لـــه: «**قـــل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثـــيرًا، ولا يغفر الـــذنوب إلا**

---

[3] (?) رواه أبو داود وغيره من حديث زيد بن ثابت .

أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[1].

فقوله: «**فاغفر لي مغفرة من عندك**» أي لا ينالها عملي ولا سعيي، بل عملي يقصر عنها، وإنما هي من فضلك وإحسانك، لا بكسبي ولا باستغفاري وتوبتي.

وقوله: «وارحمني» أي ليس معولي إلا على مجرد رحمتك، فإن رحمتني وإلا فالهلاك لازم لي، وفي ضمنه: إنك لو عذبتني لعدلت في، ولم تظلمني، وإني لا أنجو إلا برحمتك ومغفرتك.

فإذا كان عمل العبد لا يستقل بالنجاة فلو لم ينجه الله فلم يكن قد بخسه شيئًا من حقه، ولا ظلمه، إذ ليس معه ما يقتضي نجاته، وعمله ليس وافيًا بشكر القليل من نعمه، فهل يكون ظالمًا لو عذبه؟

- وهل تكون رحمته له جزاء لعمله، ويكون العمل ثمنًا لها مع تقصيره فيه

---

1 (?) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي، وأحمد في المسند.

وعدم توفيقه ما ينبغي له من بذل النصيحة فيه، وكمال العبودية من الحياء والمراقبة، والمحبة والخشوع وحضور القلب بين يدي الله تعالى في العمل له؟

- نعم إن علم هذا [1] عَلِمَ السر في كون أعمال الطاعات تختم بالاستغفار

* كما ثبت عنه أنه كان إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثًا .. الحديث[2].

* وقال سبحانه عن عبادة المتقين: **كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**[3] فأخبر عن استغفارهم عقيب صلاة الليل. قال الحسن البصري عليه رحمه الله: «مدُّوا الصلاة إلى السحر، فلما كان السحر جلسوا يستغفرون الله».

* وأمر الله تعالى عباده بالاستغفار عقب الإِفاضة في الحج فقال: **ثُمَّ أَفِيضُوا**

---

1 (?) أي إذا علم العبد مهما بلغت طاعته وتقواه – أنه مقصر في عدم توفية العمل التعبدي ما ينبغي له من بذل النصيحة فيه، وكمال العبودية من الحياء والمراقبة والمحبة والخشوع وحضور القلب.

2 (?) أخرجه مسلم عن ثوبان.

3 (?) الذاريات (17، 18).

مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

* وشرع ﷺ للمتوضئ أن يختم وضوءه بالتوحيد والاستغفار فيقول: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين**»[2].

- فهذا ونحوه مما يبين حقيقة الأمر، وأن كل أحد محتاج إلى مغفرة الله تعالى ورحمته، وأنه لا سبيل إلى النجاة بدون مغفرته ورحمته أصلا.

2- أنه لو فرض أن العبد يأتي بمقدوره كله من الطاعة ظاهرًا وباطنًا، فإن الذي ينبغي لربه فوق ذلك، وأضعاف أضعافه، فإذا عجز العبد عنه لم يستحق ما يترتب عليه من الجزاء، والذي أتى به لا يقابل أقل النعم، فإذا حرم جزاء العمل الذي ينبغي للرب من عبده كان ذلك تعذيبًا له، ولم يكن الرب ظالمًا له في هذا الحرمان، ولو

---

1 (?) البقرة (199).

2 (?) أخرجه الترمذي في سننه وسنده صحيح، انظر – إرواء الغليل للألباني (1/135).

كـان عـاجزًا عن أسـبابه فإنه لم يمنعه حقًا يسـتحقه عليـه، فيكـون ظالمًا بمنعـه، فـإذا أعطاه الثواب كان مجرد صدقة منه وفضل تصدق بها عليه لا ينالها عملـه. بل هي خـير من عمله وأفضل وأكـــــثر، ليست معاوضة عليه.

3- أن العبد إذا علم أن الله ســــــبحانه وتعـالى هو مقلب القلـوب، وأنه يحـول بين المـرء وقلبـه، وأنه تعـالى كل يـوم هو في شـأن، يفعل ما يشـاء، ويحكم ما يريـد، وأنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويرفع من يشاء ويخفض من يشـاء فما يؤمنه أن يقلب الله قلبــه، ويحــول بينه وبينــه، ويزيغه بعد إقامتــه، وقد أثــنى الله تعـالى على عبـاده المؤمنين بقولهم: ﴿**رَبَّنَا لَا تُـزِغْ قُلُوبَنَا بَعْـدَ إِذْ هَدَيْتَنَا**﴾[1] فلولا خـوف الإزاغة لما سـألوه أن لا يزيغ قلـوبهم وكـان من دعـاء النـبي ﷺ «**اللهم مصرف القلوب صـرف قلوبنا على طاعتك**»[2] و«**مثِّبت القلـــــوب، ثبت قلوبنا على دينك**»[3].

4- أن الله تعـالى هو الـذي يخلق أفعـال

---

1 (?) آل عمران (8).
2 (?) رواه أحمد ومسلم.
3 (?) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة.

العباد الظاهرة والباطنة، فهو الذي يجعل الإيمان والهدى في القلب، ويجعل فيه التوبة والإنابة والإِقبال والمحبة والتفويض وأضدادها. والعبد في كل لحظة مفتقر إلى هداية يجعلها الله تعالى في قلبه، وحركات يحركه بها في طاعته. وهذا إلى الله تعالى - فهو خلقه وقدره، وكان من دعائه ﷺ: «**اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها**»[1] وعلم حصين بن المنذر ﷺ أن يقول: «**اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي**»[2]، وعامة أدعيته ﷺ متضمنة لطلب توفيق ربه وتزكيته له، واستعماله في محابه، فمن هداه وصلاحه وأسباب نجاته بيد غيره، وهو المالك له ولها، المتصرف فيه بما يشاء ليس من أمره شيء، من أحق بالخوف منه؟ وهب أنه خلق له في الحال الهداية، فهل هو على يقين، وعلم أن الله سبحانه وتعالى يخلقها له في المستقبل ويلهمه رشده أبدًا؟ فعلم أن خوف المقربين عند ربهم أعظم من خوف غيرهم، والله المستعان.

---

1 (?) أخرجه مسلم والنسائي وأحمد.

2 (?) أخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

ومن ها هنا كـان خـوف السـابقين من فـوات الإيمـان كما قـال بعض السـلف أنتم تخـافون الـذنب، وأنا أخـاف الكفـر. وكـان عمر يقـول لحذيفـة: «نشـدتك اللـه، هل سـماني لك رسـول الله ؟ يعـني في المنـافقين، فيقـول: لا، ولا أزكي بعـدك أحـدًا»[1] يعـني لا أفتح عليَّ هـذا البـاب في سـؤال النـاس لي، وليس مـراده أنه لم يخلص من النفاق غيرك.

الجمع بين المحبة والخوف والرجاء

لابد أن يكون راسخًا في أذهان المؤمنين أنه لابد في حيـاتهم الـدنيا أن يجمعـوا بين أمور ثلاثـة: المحبة والخـوف والرجـاء، وأنه من عبد الله تعـالى بواحد من هـذه الأمـور فقط فقد أخل بمـذهب أهل السـنة والجماعة، وابتعد عنه كل البعد، ولهذا قـال بعض السلف: «من عبد الله تعالى بالخوف وحـده فهو حـروري[2]، ومن عبـده بالرجـاء

1 (?) رواه البخاري.

2 (?) الحرورية: اسم يطلق على الخوارج في عهد علي نسـبة إلى حـروراء: موضع قـرب الكوفـة، نـزل به الخوارج حين اعتزلوا جيش علي .

وحده فهو مرجيء [3]، ومن عبده بالخوف والرجاء والحب فهو مؤمن» [2].

وقد جمع الله تعالى هذه المقامات الثلاث في قوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ...﴾ [3]. قال ابن القيم: «فابتغاء الوسيلة هي محبته الداعية إلى التقرب إليه، ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف فهذه طريقة عباده وأوليائه» [4].

عبادة الله تعالى بالحب المجرد هلاك وبوار

قال ابن القيم موضحًا هلاك من عبد الله

---

1 (?) المرجئة: من الإرجاء وهو لغة التأخير، ومنه سميت المرجئة لأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان، وقد قسمهم شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (7/195، 543) إلى ثلاثة أقسام:
1- الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب، وهؤلاء منهم من يقول: هو المعرفة فقط كجهم بن صفوان، ومنهم من يدخل فيه أعمال القلوب، أو بعضها كالمحبة والخضوع، وهم أكثر فرق المرجئة.
2- من يقول: هو مجرد قول اللسان، وهذا قول الكرامية.
3- من يقول: هو تصديق القلب، وقول اللسان. وهو قول بعض أهل الفقه مثل حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما.

2 (?) بدائع الفوائد (3/11).

3 (?) الإسراء (57).

4 (?) بدائع الفوائد (3/11).

تعالى بالحب المجرد، وبواره، فقـال: «وربما آل الأمر بمن عبـــده بـــالحب المجـــرد إلى اســـتحلال المحرمـــات، ويقـــول: المحب لا يضره ذنب، وصنف بعضهم في ذلك مصـنفًا، وذكر فيه أثرًا مكذوبًا: (إذا أحب الله العبد لم تضـره الـذنوب)، وهـذا كـذب قطعًـا، منـافٍ للإســـلام، فالـــذنوب تضر الـــذات لكل أحد كضرر السم للبـدن، ولو قُـدر أن هـذا الكلام صح عن بعض الشيوخ، وأما عن رسـول الله ﷺ فمعـــاذ الله من ذلـــك- فله محمل وهو أنه إذا أحبه لم يدعه حبه إيـاه إلى أن يصر على ذنب؛ لأن الإصـرار على الـذنب منـافٍ لكونه محبًا للـه، وإذا لم يصر على الـذنب بل بـادر إلى التوبة النصوح منـه، فإنه يمحو أثـره، ولا يضـــره الـــذنب، وكلما أذنب وتـــاب إلى الله تعـــالى زال عنه أثر الـــذنب وضـــرره، فهـــذا المعـنى صـحيح، والمقصـود أن تجريد الحب عن الخـوف يوقع في هـذه المعـاطب، فـإذا اقــترن بــالخوف جمعه على الطريــق، ورده إليه كلما شرد، فكأن الخوف سـوط يضـرب به مطيته لئلا تخرج عن الـدين والرجـاء حـادٍ يحـــدوها، يطيب لها الســـير، والحب قائـــدها وزمامها الـذي يسـوقها فـإذا لم يكن للمطية سوط ولا عصا يردها إذا حادت عن الطريق،

وتركتْ تركبُ التعاسيف خرجت عن الطريق وضـــلت عنهـــا، فما حفظت حـــدود الله ومحارمه، ووصل الواصـلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبتـه، فمـتى خلا القلب عن هـذه الثلاثة فسد فسـادًا لا يـرجى صـلاحه أبـدًا، ومـتى ضـعُف فيه شـيء من هـذا ضـعُف إيمانه»[1].

أيهما يغلب الخوف أم الرجاء؟

وها هنا سـؤال يـدور في أذهـان كثـير من النـاس، وهـو: أيهما يغلب المؤمن في حياته الخوف أم الرجاء؟

والجـواب على ذلـك: أن أهل العلم اختلفوا في ذلك:

* **فقال الإمام أحمد:** ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحدًا، فلا يغلب الخـوف، ولا يغلب الرجاء. قال رحمه اللـه: لأنه إن غلب الرجـــاء وقع الإنســـان في الأمن من مكر الله، وإن غلب الخوف وقع في القنوط من رحمة الله.

* **وقـال بعض العلمـاء:** ينبغي تغليب الرجـاء عند فعل الطاعـة، وتغليب الخـوف عن إرادة المعصـــــية، لأن إذا فعل الطاعة فقد أتى بمــوجب حسن الظن، فينبغي أن يغلّب الرجـــــاء وهو القبــــول، وإذا هم بالمعصـــية أن يغلّب الخـــوف لئلا يقع في المعصية.

* **وقـال آخـرون:** ينبغي للصـحيح أن

---

[1] (?) بدائع الفوائد (3/11-12).

يغلّب جـانب الخـوف، وللمـريضَ أن يغلّب جانب الرجـاء؛ لأن الصـحيح إذا غلّب جـانب الخوف يتجنب المعصية، والمريض إذا غلّب جـانب الرجـاء لقي الله تعـالى وهو يحسن الظن بـــه، قـــال ابن قدامـــة: «والأفضل للإنسـان عند المـوت أن يغلب الرجـاء؛ لأن الخوف كالسوط الباعث على العمل وليس ثمة عمـــل، فلا يســتفيد الخـــائف حينئذ إلا تقطيع نياط قلبه، والرجـاء في هـذه الحـال يقوي قلبه، ويجبب إليه ربـه، فلا ينبغي لأحد أن يفـارق الـدنيا إلا محبًا لله تعـالى محبًـا للقائـه، حسن الظن بـه، وقد قـال سـليمان الـتيمي عند المـوت لمن حضـره: حـدثني بـالرخص لعلي ألقي الله تعـالى وأنا أحسن الظن به»[1].

قـــال فضـــيلة الشـــيخ محمد بن صـــالح العثيمين جزاه الله خيرًا بعد أن سـاق هـذه الأقوال: [2]

«والذي عندي في هذه المسـألة أن هـذا يختلف باختلاف الأحـوال، وأنه إذا خـاف إذا غلَّب جانب الخوف أن يقنط من رحمة الله -وجب عليه أن يـــرد ويقابل ذلك بجـــانب الرجاء، وإذا خاف إذا غلَّب جانب الرجاء أن يأمن مكر الله فلْيردَّ وليغلِّب جانب الخوف، والإنسان في الحقيقة طبيب نفسه، إذا كان

---

1 (?) مختصر منهاج القاصدين ص306-307.

2 (?) ما عدا قول ابن قدامة المتقدم.

قلبه حيًا، أما صـاحب القلب الميت الـذي لا يعــالج قلبه ولا ينظر أحـــوال قلبه فهـــذا لا يهمه الأمر»[1].

* * * *

حال المعرضين الذين لم يخافوا الآخرة

من أكبر الصـفات المرذولة الـتي اتصف بها الكفـــار المعرضـــون أنهم لا يخـــافون الآخرة، قال سبحانه: ﴿**كَلَّا بَـلْ لَا يَخَـافُونَ الْآَخِرَةَ**﴾[2] وفي الآية الأخــرى: ﴿**وَنُخَـوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا**﴾[3].

والسبب الذي جعلهم لا يخـافون الآخـرة أنهم ملؤوا قلوبهم بالزيغ والفسـاد والعنـاد، فهم وإن كـانوا يبصـرون إلا أنهم كالعميـان، لعـدم انقيـادهم للحق الـذي عرفـوه كأنما يعرفـــون أبنـــاءهم وآبـــاءهم، ولكنه اتبـــاع الشـــيطان الـــذي لا يقـــود إلا إلى الهلاك،

---

[1] (?) المجمـوع الثمين من فتـاوى ابن عـثيمين (1/24-25) جمع وترتيب فهد السليمان.

[2] (?) المدثر (53).

[3] (?) الإسراء (60).

والبوار والـدمار، الشـيطان الـذي عشـعش على قلـــوبهم، فهو يحركها كيفما يشـــاء، وكيفما يريـد، فكـان من جـراء ذلـك: الختم على القلـوب، المـؤدي بأصـحابها إلى عـدم قبـــول الحق مهما ســـمعت من المواعظ والتذكيرات:

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُـــوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَـارِهِمْ غِشَـاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُـــوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُـوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْـرًا وَإِنْ يَـرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى في حق المنافقين:

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[3].

وفي الآية الأخرى:

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

---

1 (?) البقرة (7).
2 (?) الأنعام (25).
3 (?) التوبة (87).
4 (?) التوبة (93).

وأخـبر سـبحانه في آيـات أُخر أن هـؤلاء لما نســوا الله واليــوم الآخر ولم يخــافوه، عـــاقبهم بالمثل فأنســـاهم أنفســـهم، فهم يعيشون في الظلمات كأنهم لا يبصـرون مع العـذاب والنكـال الـذي ينتظـرهم: ﴿الَّذِينَ اتَّخَـــذُوا دِينَهُمْ لَهْـــوًا وَلَعِبًا وَغَـــرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُـوا لِقَــاءَ يَــوْمِهِمْ هَــذَا وَمَا كَـانُوا بِآَيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[1].

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَــأْمُرُونَ بِــالْمُنْكَرِ وَيَنْهَــوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْـدِيَهُمْ نَسُـوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِـقُونَ﴾[2].

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـذَا إِنَّا نَسِـينَاكُمْ وَذُوقُـوا عَـذَابَ الْخُلْـدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3].

﴿وَقِيــلَ الْيَــوْمَ نَنْسَــاكُمْ كَمَا نَسِــيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ

---

1 (?) الأعراف (51).
2 (?) التوبة (67).
3 (?) السجدة (14).

﴿مِنْ نَاصِرِينَ﴾[1]. وحذر سبحانه عباده المؤمنين أن يسلكوا مسلك الذين نسوا الله تعالى فيصيبهم ما أصاب أولئك فقال:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: «والحرمان كل الحرمان أن يغفل العبد عن هذا الأمر، ويشابه قوما نسوا الله، وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه. وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها، فلم ينجحوا ولم يحصلوا على طائل. بل أنساهم الله تعالى مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها، فصار أمرهم فرطًا، فرجعوا بخسارة الدارين، وغبنوا غبنا، لا يمكن تداركه، ولا يجبر كسره؛ لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم، وأوضعوا في معاصيه»[3].

وكما تقرر في كلام سابق أن العبد كلما

---

1 (?) الجاثية (34).

2 (?) الحشر (19).

3 (?) تفسير السعدي (7/343).

ازداد من الله تعـــالى قربًا بطاعته وعبادته ازداد منه خوفا وخشية، فكذلك الشـأن في الغافلين المعرضين، كلما ازداد الواحد فيهم من الله تعالى بعـدًا بالفسق والطغيـان قل خوفه وضعفت خشيته من ربه تعـالى حـتى يـــؤدي به ذلك إلى الأمن من مكر الله عز وجل فيهلك.

فيا لله «كم مأخوذ على الزلل، غير وجل من الآخـرة ختم له بسـوء العمـل، نـزل به المـوت، فيا هـول ما نـزل، فأسـكنه القـبر، فكأن لم يزل، وهذا مصير الغافل لو غفــل. كم نـائم على فـراش التقصـير، مغـتر بعمر قصـير، صـاح به فلم يبـال النـذير، فاسـتلبه الخطأ والتبـذير، فلما أحسن البـأس ثـارت من نيران الندم شُعَل»[1].

ولقد قرر الله تعالى في القـرآن الكـريم أن الأمن من مكـــــــره إنما هو في حق الغــافلين المعرضــين، الــذين لا يعتــبرون بـالمثُلات الـتي حلت بالمكـذبين السـابقين، ولا يرعـــــوون عما هم فيه من الشــــرك والفساد:

---

1 (?) عن «التبصرة» لابن الجوزي (1/266-267).

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[1].

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2].

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3].

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ

---

1 (?) يوسف (107).
2 (?) الأعراف (97-99).
3 (?) النحل (45-47).

عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾[1].

﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[2].

وبين الله تعالى في القرآن كذلك أن هذا الأمن من مكــــره عز وجل إنما نشأ من أثر الفسق والطغيـــان والتعـــدي لحـــدود الله تعـــالى مما اتصف به أولئك الآمنـــون من مكره، وقرر سبحانه أمثلة من هذا الفسق، وذلك الطغيان، ومنه:

* استهزاؤهم بـالمؤمنين، قـال سـبحانه: **﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾**[3] وقــال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا**

---

1 (?) الإسراء (68-69).
2 (?) الملك (16-17).
3 (?) المؤمنون (109-111).

مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾[1].

* وصفهم للدعاة الربانيين بأقبح الصفات وأرذل الأفعال، كما ذكر الله تعالى عن قوم هود عليه الصلاة والسلام:

﴿قَـالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَـرُوا مِنْ قَوْمِـهِ إِنَّا لَنَـرَاكَ فِي سَـفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[2].

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَـارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِـكَ وَمَا نَحْنُ لَـكَ بِمُـؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُـولُ إِلَّا اعْتَـرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ...﴾[3].

* التحدي والعناد وطلب إنزال العذاب:

كما ذكر سبحانه عن كفار قريش:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَـكَ حَتَّى تَفْجُـرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُـونَ لَـكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيـلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَـارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّـمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَـفًا أَوْ تَـأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَـةِ

---

1 (?) المطففين (29-30).
2 (?) الأعراف (66).
3 (?) هود (53-54).

قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ...﴾[1].

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2].

* تلك نماذج واضحة، وبراهين من القرآن ساطعة، تبين فسق الآمنين من مكر الله تعالى، أولئك القوم الذين لم يلفت أنظارهم تخويف، ولم يؤنبهم ضمير، ولم تجد فيهم النذر، فهم سائرون في لهوهم، منهمكون في عصيانهم، لا تزيدهم المواعظ والآيات إلا عتوا واستكبارا، وفسقا وطغيانا.

* فهل يعي المسلمون الآيات، وهل ينتفعون بالمواعظ؟

* هل يستمعون إلى التخويفات والنذر، فيصلحوا سرائرهم وعلانيتهم مع ربهم، ويجعلوا من خطاب الله تعالى للأقوام السابقة خطابا لهم، يحرك كل ذرة في

---

1 (?) الإسراء: (90-93).
2 (?) الأنفال (32).

كيانهم ووجدانهم، ويقولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير.

* وهل يقتدون بنبيهم الذي تفطرت قدماه من طول القيام وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

* وهل يقتدون بأصحابه الأبرار الذين كانوا يصبحون شعثًا غبرًا صُفرًا، قد باتوا لله سجدا وقياما، خاشعين باكين منيبين؟

* وهل يقتدون بالتابعين الأجلاء، كمالك الذي كان يقوم طول ليله باكيا، شادا على لحيته يقول: يا ربِّ قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، ففي أي الدارين منزل مالك؟

* وهل يقتدون بمثل الإمام سفيان الثوري الذي كان يشتد خوفه من السوابق والخواتيم، فيبكي ويقول: أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيًا، أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت!!

فاللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أنزل على قلوبنا خوفك وخشيتك في الغيب

والشـهادة، وارزقنا الاسـتعداد ليـوم القيامة بقلوب المتقين، وأعمال الأبرار الخاشـعين، إنك أرحم الــراحمين، وأكـــرم الأكـــرمين. آمين.

* * * *

الفهرس

* * * *